۞ المرجعية الفلسفية للحريات العامة

د. إسماعيل يحي رضوان
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية
- جامعة باتنة -

تمهيد:

إن من الحقائق التي يجب أن تستقر في الأذهان أن معنى الحرية وتحديده أمر نسبي، يختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر ومن زمان إلى زمان آخر ومن مكان إلى مكان، وأن مفهوم الحرية في مسألة ما قد يضيق أو يتسع من مجتمع إلى مجتمع، وذلك حسب نظر ومرجعية كل فريق منهما تجاه تلك المسألة أو ذاك.

كما أنه من الأمور البديهية بمكان أن يوضع في الحسبان بأن الحرية عند أي فريق كان لا تعني أن تكون مطلقة بدون أي قيد، حتى عند من يعرفون بالإباحية المطلقة، فإنهم لن يجيزوا لأنفسهم مهما وصلوا من مستوى الانفلات إلى التحرر من كل القيود،كما وأن الذين يتشدقون بحرية القول في الغرب فإنهم يعترفون بأنهم ليسوا أحرارا في قول كل ما يريدونه، وأن الذين يتحدثون عن حرية العمل فإنهم ليسوا أحرارا في أن يتصرفوا في عمل ما يريدونه، وإذا كان هناك من ضوابط تحكم المدى الذي يسمح به للحرية بالظهور فإن هذه الضوابط هي التي تضيق أو توسع في مفهوم الحرية حسب المرجعيات التي تنطلق منها.

كما أنه من العدل بمكان أن لا يقاس التقدم في الحريات لحضارة ما بمسألة واحدة، وإنما ينظر أثناء القياس إلى كل المسائل التي توجب النظر، لا لشيء ولكن لوجود حدود معينة يجب أن لا تتعدها الحريات، وذلك كأصل النظام العام والمحافظة عليه من جهتي الوجود العام.

هذا وقد لوحظ أن الحرية منها ما هو بنَّاءٌ، ومنها ما هو هدَّامٌ، فكل ما كان منها ضد العدل والحق فهي حرية هَدْمٍ، وكل ما كان منها مناصرا للعدل والحق فهي حرية بناء، وعلى هذا التوصيف يتفق العقلاء.

ولتحقيق هذا المعنى في الحرية فإنه يجب أن ينفصل معنى الحرية عن الأمور المزاجية المتغيرة والسمو بها إلى الموضوعية الثابتة بالحق والعدل.

وتأسيسا على هذا الطرح فلا بد من الاطلاع على المعاني اللغوية والاصطلاحية لمفهوم الحرية، ومن ثم استعراض المرجعيات الحضارية لمفهوم الحرية بشكل عام، ومن ثم إجراء المقارنات اللازمة للوصول إلى التقويم الأمثل لمفهوم الحرية بشكل واضح وأمين.

مفهوم الحريات العامة:

المعنى اللغوي للحرية لم تتحدث عنه القواميس المعهودة بهذا اللفظ إلا عرضا، وإنما جاءت في القاموس المحيط[1]: الحرور والحرار والحرية جمع أحرار وحرار، وقال: الحرار جمع حرة أي الحجارة النخرة السوداء، وأما ما جاء في أساس البلاغة للزمخشري فقد كان أوضح من ذلك، فقال:"حرية البقول: مايؤكل غير مطبوخ، ومن حرية قومه، أي من أشرافهم" [2].وإذا جمعنا المعنيين فإن معنى الحرية يكون الشيء الفطري المعتبر.

أما المعنى الاصطلاحي فيمكن أن نتتبع معناه منذ وجدت مسألة الرق والعتق، وأكثر فترة في التاريخ أصبح لمعنى العتق مفهوم له علاقة بالحرية كانت فترة انتشار الإسلام

في العالم، حيث جعل الإسلام من شروط تكفير الذنوب العتق، وهو ما يعني تحرير العبيد من أسيادهم، قال تعالى:﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة﴾[3].

على أن التحرير من الأسياد يمكن أن يتوسع في معناه إلى أن يستوعب التحرر من الاستعمار، ومن كل ألوان الوصاية، ومن تكميم الافواه، حسب ما هو معروف في مصطلحات الحرية الواسعة في هذا العصر، ومن ذلك أيضا ما جاء في المنجد الأبجدي الطبعة الثامنة من أنها تعني:"حق المرء بممارسة أمر في المجتمع".

لكن ما هو حكم الحرية في الإسلام؟ فهو الذي سوف أبينه فيما يتلو هذا.

حكم الحرية في الإسلام:

تعتبر ممارسة الحرية في الإسلام بمعنى حرية التعبير من التكاليف الشرعية بأحكامها الخمسة، لأنها تكليف بممارسة دعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد تكون فرضا أو حراما أو مكروهة أو مندوبة أو مباحة، وبرغم أن الفقهاء قد اختلفوا في كون المباح تكليفا، إلا أن المباح كما ذكره الشوكاني في إرشاد الفحول: يعني الحلال، وأن اعتبار الحلال من الإحسان كما قرره ابن حزم في المحلى، وأن الشارع قد مدح الإحسان بقوله تعالى:﴿ وأن الله مع المحسنين﴾ الآية **69** من سورة العنكبوت، فعلى هذا التأسيس فإن المباح يعتبر تكليفا لأنه من الإحسان.

وبهذا فإنك تجد الاختيار بين فعل الشيء أو تركه لايمر بسهولة، بل يجب على المكلف أن يكون متيقظا متى يفعل الشيء، ومتى يتركه، وهذا في حد ذاته قد يكون تكليفا أصعب من التكليف الظاهر، ولذا يحتاج إلى البحث الدائم عن الحق، وهذا

يقتضيك أن تبقى دائما مراقبا للأحداث ومآلات الأمور، فقد يتردد التكليف الواحد بين خمسة أحكام شرعية، كالزواج فإنه يتدرج من الإباحة إلى الفرض والمندوب أو إلى الحرام والمكروه، حتى إذا ما وجد المنكر، تدخل الدعوة إلى إنكاره في دائرة حرية التعبير عن المنكر الذي يدخل ضمن الواجب الذي لا يجوز تركه.

المرجعية:

وبادئ ذي بدء فإنني لا أريد في هذا البحث تبيين معنى (المرجعية الفلسفية) باعتبار أن لفظ (الفلسفية) يعتمد على الناحية الفكرية التي تفضي إلى التأمل في العلم والتجربة، وإن كنت أحرص على أن يكون المقصود بالمرجعية أنها: المبادئ التي يرجع إليها الإنسان عند القيام بأي عمل، ومن ذلك ممارسة الحرية، لان الحرية هي عمل وسلوك، ولتوضيح هذا المفهوم فإنني سوف أوضح مصادر وروافد مرجعيتين ظاهرتين هما: المرجعية الإسلامية، والمرجعية الغربية.

مصادر المرجعية الإسلامية:

أما المصادر التي يستمد منها المسلمون مرجعية الحريات العامة في الشريعة الإسلامية، فهي كثيرة، ولكنني سوف اقتصر هنا على ثلاثة مصادر لهذه المرجعية هي:القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، واجتهادات فقهاء الأمة ورجالها.

أ- القرآن الكريم:

ومن ذلك ما جاء من حث في القرآن الكريم على أن يكون للمسلم شخصية ملتزمة تدافع عن الحق وتنهى عن الباطل، مشكلة بذلك مرجعية فذة في تقويم

اعوجاج الأشخاص والجماعات التي تنحرف عن الطريق السوي المستقيم والذي رسمته الشريعة لهذه الأمة، واعتبر الشارع التقويم لهذا الاعوجاج من التكليف الإلاهي الذي يجب أن يتحمله كل مسلم تجاه الدعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [4].

وهذه الآية تكاد أن تشكل العمود الفقري في الدعوة لحرية التعبير في الشريعة الإسلامية. والقرآن بهذه الدعوة قد أعطى الحرية المطلقة للمؤهلين أن يأمروا بالمعروف كله وأن ينهوا عن المنكر كله، وعلى المدعويين أن ينصاعوا لذلك، وأن يتلقوا هذه الدعوة بالقبول طالما أنها جاءت بقانون ينبثق عن المرجعية الشرعية التي يتعبد بها المسلمون.

وهناك نصوص كثيرة جاءت في هذا السياق منها قوله تعالى: ﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ [5].وقوله تعالى: ﴿لينفق كل ذي سعة من سعته ﴾ [6]. وأمره بالدعوة الحرة في التوصية بالحق حيث قال:﴿ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [7]، كما أمر عباده بحرية التعاون في مجال البر والخير فقال:﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ [8]. فهذه الأوامر والتوصيات لتوجيه عباده فيما يجب أن تكون عليه سلوكاتهم كلها تشكل المرجعية الشرعية لحرية القول والعمل، وما على الذين يعنيهم هذا الأمر إلا أن ينصاعوا لذلك، مقرين لحرية التعبير في هذا المجال لأنه

ينطلق من مرجعية المفروض التسليم بها من قبل طرفي الإيجاب والقبول إن صح التعبير.

هذا وقد حرض رب العزة سبحانه وتعالى عباده ليمارسوا حرية التعبير فيما يرونه مناسبا لإصلاحهم وإصلاح مجتمعهم، وجعل من صفات المؤمنين الذين يستجيبون لربهم ويقيمون الصلاة أن يكون أمرهم شوري بينهم فقال:﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ [9]. ومن الطبيعي أن الشورى فيما بين المؤمنين لا تتم إلا بالإفصاح عما في النفوس من آراء واقتراحات لصالح الأفراد والجماعات وهو ما يعني حرية التعبير.

ب-السنة النبوية الشريفة:

هذا وأن رسولنا الكريم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فقد حث الأفراد على أن يكونوا أحرارا فيستقلون بأمورهم العادية، وذم التقليد لمن هب ودب فقال: "لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا"[10]. وأغرى المؤهلين من أمته لدعوة الحق أن يبادروا إلى تغيير المنكر بحرية تامة، وكل قدر استطاعته فقال:"من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" [11]. وهذا كله على مستوى الأفراد.

ثم إنَّ هناك دعوات لرسول الله ﷺ للجماعة من أمته بالتصدي للظلم والظلمة، ولا يمكن أن يترجم ذلك إلا بحرية التعبير من خلال دعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى إذا تقاعس الناس عن ذلك حذرهم رسول الله ﷺ، لأن التقاعس في هذه

الحالة يكون مجلبة لسخط الله سبحانه وتعالى، ولذا قال:﴿ إنَّ الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يده أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه ﴾ [12].

ومن دعوات الرسول لأمته والتي لا تتم إلا من خلال حرية التعبير حثه هذه الأمة على النصيحة الخالصة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، ومن ذلك ما رواه تميم الداري أن رسول اللهﷺ قال:"الدين النصيحة، قالوا: لمن؟ قال: لله، ولرسوله، وأئمة المسلمين وعامتهم"[13].

كما أن تشجيعه لعمل الخير لا يتم إلا عن طريق التعبير الحر تجاه هذه المأثرة وذلك فيما روى عن ابن عباس–رضي الله عنهما– أن رسول اللهﷺ قال:"الدال على الخير كفا عله" [14].

بل إن رسول اللهﷺ قد عمم دعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجالات كثيرة، ومن هذا التعميم ذب المسلم عن عرض أخيه في المجالس، بما ينسجم مع هذه الدعوة الرائدة في المجتمع الإسلامي، حيث روت أسماء بنت يزيد بن السكن أن رسول اللهﷺ قال:"من ذب عن لحم أخيه بالمغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار" [15]. وواضح أن هذه الدعوة لا يمكن لها أن تظهر إلى الوجود ما لم يتقن المسلم هذه الدعوة بحسن الحرية في التعبير.

ج–اجتهادات فقهاء الأمة ورجالها:

لقد اجتهد فقهاء هذه الأمة ورجالها في أمور كثيرة تصلح أن تكون مرجعية يتحدى بها لدى الأفراد والجماعات تجاه حرية القول والتعبير عما يشعر به المسلم،

وما يجب عليه تجاه دعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد شجع الصحابة بالتعبير عن رأيهم كلما كان ذلك مناسبا، فهذا الحباب بن المنذر ﷺ يقول لرسول اللهﷺ، حيث جعل ماء بدر أمامه قبل الدخول في المعركة فقال:أهذا منزل أنزلك الله إياه يارسول الله أم هو الرأي والمشورة؟ فقال رسول اللهﷺ: بل هو الرأي والمشورة، فقال الحباب: أرى أن نجعل ماء بدر خلفنا فإذا أردنا أن نشرب انقلبنا إليه، وإذا أراد أعداؤنا أن يشربوا منعناهم منه، فما كان من رسول اللهﷺ إلا أن وافق على تنفيذ هذا الرأي الوجيه، مشجعا بذلك كل رأي يقال دونما حرج من أحد، وذلك تمشيا مع دعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بممارسة النصيحة والإرشاد.

على أن الصحابة بعد رسول اللهﷺ ظلوا يتمتعون بحرية القول وحرية التعبير عما يجول في أذهانهم من آراء، وكانوا قدوة في ممارسة حرية التعبير هذه بل ويدعون الناس إليها إذا ما كانت بمرجعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا عمر بن الخطاب لما ولي مسؤولية رعاية شؤون المسلمين يقف خطيبا على المنبر فيقول للناس:"يا معشر المسلمين، ماذا تقولون لو ملت برأسي إلى الدنيا هكذا –وميل رأسه– فقام إليه رجل فقال:(أجل كنا نقول بالسيف كذا) وأشار إلى القطع، فقال عمر:(إياي تعني) فقال الرجل:(نعم إياك أعني بقولي) فقال عمر:(رحمك الله، الحمد لله الذي جعل في رعية عمر من إذا تعوجت قومني) [16].

وأنت تجد أن مثل هذا الموقف لو وجد عند حاكم آخر ربما لمس المتحدث شيء من العذاب، ولكن عمر سر جدا بقول هذا الرجل الذي تحداه، وذلك حتى لا

يقال بأنه ليس من أحد كان يجرؤ على عمر، فتركوه يفعل ما يريد، خشية أن يصيبهم أذى من الرد عليه لشدته.

وهذا عمر بن عبد العزيز، قدم عليه رهط من العرب، يقودهم إليه شاب صغير السن فنظر فيهم مستصغرا سن هذا الشاب وقال: أليس فيكم من هو أكبر منه سنا؟ فقال الشاب بجرأة: لو كانت المسألة بكبر السن لكان غيرك أولى منك بالخلافة، فسكت عمر، وأخذ يسمع إليه بإعجاب، ولو لا حرية التعبير التي كانت معهودة في المجتمع المسلم حينذاك لما استطاع هذا الشاب أن يتحدث بهذه الثقة والجرأة.

وختاما فإن هذه المرجعيات قد أوجدت مواقف سامية عند رجال الأمة في مجال التطبيق يمكن أن يحتذى بها في حرية التعبير.

مواقف سامية لرجال مارسوا حرية التعبير عند السلاطين تطبيقا لمرجعية شرعية:

إن المدرسة التي أسسها رسول الله ﷺ والصحابة من بعده أوجدت رجالا لا يخافون في الله لَوْمَةَ لائم، يتفاعلون مع مرجعية دعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ناصحين ومحذرين حتى جبابرة السلاطين، ليصب كل ذلك في حرية القول والتعبير التي أرادها الشارع الحكيم، وقد أثرت هذه المرجعية بمواقف كثير من الناس منها:

1-ما جاء في العقد الفريد:دخل مالك بن أنس وابن طاووس على المنصور وهو جالس على فرش منضدة، وبين يديه شرط بأيدهم السيوف، فأطرق طويلا ثم

قال: يا بن طاووس: حدثني عن أبيك فقال: سمعت أبي يقول: (إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه، فأدخل عليه الجور في عدله) فأمسك ساعة، قال مالك: فضممت ثيابي من ثيابه، مخافة أن يملأني من دمه، ثم التفت المنصور إلى ابن طاووس قائلا: عظني، فقرأ عليه:(ألم تر كيف فعل ربك بعاد...)

فقال مالك مثل مقالته الأولى، ثم إنَّ المنصور أمسك ساعة ثم قال: يا بن طاووس، ناولني هذه الدواة فأمسك ابن طاووس عنه فقال: يا بن طاووس، ما يمنعك أن تناولنيها؟ قال: أخشى أن تكتب بها معصية فأكون شريكك، فقال المنصور: قوما عني، فقال ابن طاووس:ذلك ما كنا نبغي) [17].

2- مناظرة الأوزاعي لعبد الله بن علي، وكان غير هياب في دعوة الحق، فتحدث مع عبد الله بن علي لما قدم الشام وقاتل بني أمية عندما استدعاه هذا الأخير فدخل الأوزاعي على عبد الله يحيط به جنده وسيوفهم مسلولة، فقال له عبد الله: مارأيك في دماء بني أمية؟ فقال الأوزاعي:لقد كان بينكم وبينهم عهودا، فغضب عبد الله وقال: أتجعل بيننا وبينهم عهودا؟ فقال الأوزاعي: دماؤهم حرام عليكم فقال: ولم؟ قال: لأن رسول اللهﷺ قال:"لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: ثيب زان، ونفس بنفس، وتارك لدينه" فقال له: ويحك، أو ليس الأمر لنا ديانة؟ قال الأوزاعي: كيف ذاك؟ قال عبد الله: أليس رسول اللهﷺ أوصى لعلي؟ فقال: لو أوصى له لما حكم الشيخان، فسكت، ثم توقع الأوزاعي بعد ذلك أن يترجم عبد الله غضبه فينقض عليه بسيفه فيسقط رأسه بين يديه، ولكنه أشار بإخراجه[18].

3–وتحت عنوان "جعل الله كل ناطق في حق غيره راعيا" روى الطرطوشي ما مفاده: لما حج هارون الرشيد، لقيه عبد الله العمري في الطواف، فقال: ياهارون –ولم يناده بما ينادى به الخلفاء– فقال:لبيك يا عمري، قال:كم ترى هنا من الخلق؟ قال: لا يحصيهم إلا الله سبحانه وتعالى، فقال: اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه، وأنت وحدك مسؤول عنهم كلهم، فانظر كيف تكون، فبكى هارون، فجعلوا يعطونه منديلا للدموع، ثم قال: (والله إن الرجل ليسترعي في مال نفسه فيستحق الحجر عليه، فكيف بمن استرعي في مال المسلمين) [19].

4–ومن حرية التعبير في المواقف الحرجة أن سلطان تلمسان منَّ على العالم الفقيه (أبو عبد الله التلمساني) أنه قربه إليه فقال له أبو عبد الله:"وأما تقريبك أياي فقد ضرني أكثر مما نفعني، وأنقص من ديني ومن علمي"[20].وقال عندما ضرب السلطان فقيها:"إن كان عندك صغيرا فهو عند الناس كبير، وإنه من أهل العلم" ففرج عنه السلطان[21].وما كان هذا ليحدث لولا حرية التعبير التي كان يمارسها العلماء كلما وجدوا ذلك مناسبا تجاه كل منكر، والنصيحة لكل مسلم مهما كان، ولو كان السلطان نفسه، ولم تكن مرجعية هؤلاء إلا مرضاة الله سبحانه وتعالى.

5–ومن إنكار المنكر ما رواه ابن لهيعة من قصة فقيه مصر (يزيد بن حبيب – ت 128هـ) عندما مرض فعاده حاكم مصر آنذاك (الحوشرة ابن سهيل) فقال له: ياأبا رجاء، ما تقول في الصلاة في الثوب وفيه دم البراغيث؟ فحول يزيد وجهه عنه ولم يكلمه فقام، فنظر إليه يزيد وقال: تقتل كل يوم خلقا وتسألني عن دم البراغيث، ويزيد هذا هو الذي جاءه رسول أحد السلاطين ليسأله عن بعض المسائل في العلم فقال

لرسوله:"بل أنت ائتني، فإن مجيئك إليَّ زيَّن لك، ومجيئي إليك شيَّن علي"[22]. ومع أن هذه المواقف السامية التي كان يمارسها كثير من رجال هذه الأمة، فإنها لم تكن إلا تحقيقا للتكليف الإلهي، وذلك من خلال دعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باعتبارها الأساس في المرجعية الشرعية، التي استند إليها هؤلاء الرجال الذين مارسوا حقهم في التعبير بالنصح والإرشاد والإنكار تجاه ولاة الأمر.

ومع هذا فإن هناك من كان يرى أن دعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجاه ولاة الأمر لاتجوز، لأنها تتعارض مع وجوب طاعة ولاة الامر، وذلك من واقع قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ [23]. ولكنك تجد من يرد على ذلك مفسرا الآية بما تحتمله، فيرى أن المقصود بأولي الأمر في الآية الكريمة هم الذين يطيعون الله ورسوله ويحكمون بمرجعية الله ورسوله، وليس أولي الأمر الذين نبذوا في حكمهم هذه المرجعية، إذ يقول الزمخشري:"والمراد بأولي الأمر منكم:أمراء الحق، لأن أمراء الجور –الله ورسوله منهما برئيان– فلا يعطفون على الله ورسوله، في وجوب الطاعة لهم، وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهما في إيثار العدل، واختيار الحق،والأمر بهما، والنهي عن أضدادهما، كما لخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان... وأمراء الجور لا يؤدون أمانة ولا يحكمون بعدل، ولا يردون شيئا إلى كتاب ولا إلى سنة، إنما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم، فهم منسلخون من صفات الذين هم أولوا الأمر عند الله ورسوله، وأحق أسمائهم اللصوص المتغلبة"[24].

أدبيات حرية التعبير في الإسلام:

لكل تصرف عند الناس أدبياته الخاصة، والتي تجب معه، ويجب أن لا تغيب عنه، وإلا افترق العمل عن الهدف، وضاعت الحكمة من ذلك العمل، ودعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام لها أدبيات تضبطها حتى يتحقق الهدف من وجودها، ومن هذه الأدبيات:

1–وجوب انطلاق هذه الدعوة من المرجعية الشرعية، وليس من مرجعية العصبية والهوى لقوله تعالى:﴿ فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾.

2–التدرج بالأولويات في دعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بما يناسب حال الداعي من حيث القوة أو الضعف، وما يناسب حال المدعو من حيث القبول أو الفجور، والتعبير في إنكار المنكر إما يكون تبعا لذلك باليد أو باللسان أو بالقلب وذلك أضعف الإيمان، وأكثره كان باللسان عند أولي الأمر، وبالدرجات الثلاث تجاه عامة الناس.

3–التثبت من حقيقة المسألة التي يراد الأمر بها أو النهي عنها، هل هي موجودة فعلا؟ أم هي إشاعة، وقد نهانا الله سبحانه وتعالى أن نحكم بشيء بدون بينة فقال: ﴿ ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ (25).

4-أن يكون القصد من هذه الدعوة النفع والإصلاح، وليس التشهير والانتقام، كأن يرى المنكر من صاحب المنكر ولا ينكر عليه لحسن العلاقة التي تربط بينهما، وعندما تنتهي هذه العلاقة بسبب خلاف ما، فإنه يأخذ في الاستنكار والتشنيع عليه.

مصادر مرجعية الحضارة الغربية:

بعدما تحدثت عن المرجعية الإسلامية في الحريات العامة، فإنني سوف أتحدث الآن عن المرجعية الغربية، التي اصطلح على تسميتها في العصر الحديث (بالنظام الرأسمالي)، والتي لم تعتمد مرجعية واحدة، وإنما اعتمدت خليطا من مصادر المرجعيات التي يتكون منها النظام الرأسمالي في الفكر بعموم، وفي مبدأ الحريات العامة بخصوص.

ومن أهم مصادر هذه المرجعيات هي: الحضارة اليونانية، والحضارة الرومانية، وتعاليم التوراة، الفكر المسيحي الانحيازي والجشع الاستعماري.

أ-الحضارة اليونانية:

لقد تميزت الحقبة الزمنية التي تشمل العصور القديمة -العصر اليوناني، والإغريقي، والروماني- بطابع العداء واستعراض القوة والحروب المستمرة بكل قسوة وجبروت[26] فكان كل فريق يخترع من أنواع التدمير ما يضمن له الانتصار، وكانوا يرون أن البقاء ليس للإصلاح ولكن للأقوى.

وبرغم ذلك فإن الحضارة اليونانية كانت تتميز عن غيرها من الحضارات القديمة بالنزعة الفكرية الفلسفية، والترجمة المادية للجمال، وقد اعتبرها الدكتور الألماني (هاس) بأنها المحور الأساس في مرجعية الحضارة الغربية المعاصرة، حيث إنّ المثل الأعلى لحضارة اليونان كان يتجسد في احترام الجسم الجميل المتناسب، ولذلك صرفت همها إلى الألعاب

الرياضية والرقص، وكانت ثقافتها تقوم على الشعر والغناء والتمثيل والفلسفة، وخلت ديانتها الوثنية من الناحية الروحانية والمعنوية، بل إن حضارتها انعكست على عبادتها للآلهة، حيث إنّها كانت تخلص لها العبادة وتعظمها بالرقص والغناء[27]. ولا عجب أن تتخذ الحضارة الغربية الآن هذا النهج في التوسع بهذه المرجعية، حتى ظهرت السينما والنوادي الليلية والكباريهات، ودخول المرأة كعنصر أساسي في الألعاب الرياضية.

ب-الحضارة الرومانية:

لم تختلف هذه الحضارة في النواحي المادية عن الحضارة اليونانية، ولكنها تميزت عنها بالقوة، والغطرسة العسكرية وفتح البلاد بالقوة، كما أنها لم تكن حضارة وثنية، ولكنها حضارة اصطبغت بتأثير الكنيسة في روما، حيث إنّ الكنيسة كانت تتدخل في الشؤون السياسية والعسكرية، وكان الرومان يستغلون تعاليم الكنيسة لفتح البلاد، والتوسع، ولكنَّ غطرسة قياصرة الرومان جعلتهم يقتسمون السلطات مع البابا، فنادوا بضرورة أن تكون للكنيسة السلطة الدينية وأن تكون لهم السلطة الدنيوية، وبذلك نشأت مقولة:"مال الله لله ومال قيصر لقيصري"[28].

وانطلاقا من هذا المبدأ فإن الدول الأوربية بعد أن كانت تسير الحروب الصليبية بمباركة الكنيسة أصبحت الآن تسير الجيوش الاستعمارية للفتح بدافع الطمع والجشع الاستعماري، لاستغلال ثروات الشعوب، اقتداء بتعاليم الكنيسة في الحروب الصليبية، وأصبحت هذه المرجعية لا تزال في الفكر الغربي الحديث، ولذلك تجدهم وإن أفل نجم الاستعمار فإنهم يحاولون أن يستعيضوا عنه بمباركة زرع إسرائيل في قلب الأمة الإسلامية، وهذا بحد ذاته يكون مرجعية خطيرة في الفكر الغربي.

ج-تعاليم التوراة:

أما التوراة فقد حرفها اليهود لقوله تعالى: ﴿ ومن الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ [29]. وأخضعها الأحبار لأهوائهم، وتجنوا فيها على الله، فنسبوا إلى الله الحزن والأسف على أنه خلق الإنسان، جاء في سفر التكوين:"فحزن الرب أنه عمل الإنسان وتأسف في قلبه"[30]. وحرفوا أخلاق الأنبياء عليهم السلام، لتكون لهم رخصة في تكوين أخلاقهم الخبيثة، وكأنهم يقولون لأنفسهم إذا كان الأنبياء يفعلون ذلك والله يغفر لهم فنحن إذا اتبعناهم في ذلك لا إثم علينا بل هي رخصة لنا أيضا، ولذلك قالوا عن إبراهيم عليه السلام بأنه كذاب، وأن داود زنا بزوجة (إريا)، وأن لوطا زنا بابنتيه، وهارون دعا الإسرائيليين إلى عبادة العجل،وأن سليمان عبد الأصنام إرضاء لزوجته[31].

على أن تحريف اليهود للتوراة قد بلغ حد السذاجة التي لا يمكن أن يصدقها عقل، لدرجة أنهم قد وصفوا داود عليه السلام وهو أحد أنبيائهم المرموقين في نظرهم وصفوه بما لا يليق بنبي يحترم نفسه، حيث جاء في سفر الملوك بأنه جعل مهر إحدى زوجاته قتل مائتي فلسطيني، ثم قطع من كل واحد منهم قطعة من عضوه التناسلي وجمعها وقدمها لعروسه[32].

هذا وغيره مما وصفوا به الله بالندم، والأنبياء بما لا يليق بعصمتهم، قد جعل المراقبين لا يصدقون هذه السذاجة إلا أن تكون وراءها أهداف معينة، قصدوا منها تبرير أخلاقهم وتصرفاتهم الخبيثة، وإيهاما منهم للآخرين بأنهم في أخلاقهم إنما يتمسكون بهذا الدين الإباحي، قد أباحه الله لبني إسرائيل فقط دون غيرهم من الشعوب التي لم يخلقها الله أصلا إلا لخدمة شعبه المختار، وأن ما يحل لهم يحرم على غيرهم، لأنهم دون مستواهم في الخلق، حتى إذا ما صدموا وأرادوا الانسحاب من هذه الدائرة الأخلاقية، قالوا بعقلانية يوهموا بها الآخرين: إنها تفسيرات لم تثبت عن الأنبياء.

ومن هذا السلوك المصلحي في دينهم استطاعوا التأثير في المنهج الفلسفي الذي كان سائدا في العصور الوسطى وما تلاها على مفكري الغرب، في معالجتهم لمشاكل الحياة، وكانوا سببا جذريا فيما عرف بعد ذلك بإيجاد ما يسمى الآن (بالنزعة الميكافيلية)، التي تم تكريسها مع الأسف الشديد كمرجعية مؤثرة في سياسة الغرب، التي تكيل بمكيالين، في تعاملها مع الدول والشعوب الأخرى، وما نظرتهم للشعب الفلسطيني والشعب الإسرائيلي إلا وليدة لهذه السياسة بمرجعيتها الميكافيلية.

هذا (وقد كان لهذه الإساءات لله ولرسله آثارها السيئة على الفكر الإنساني بعامة، والفكر الأوروبي والسلوكيات الأوروبية بصفة خاصة، ولعلها كانت وراء النزوع اللاديني والنزعات الانحلالية واللا أخلاقية التي تهيمن على روح الحضارة الأوربية المعاصرة) [33].

د-الفكر المسيحي الانحيازي والجشع الاستعماري:

ليس تحريف الإنجيل بأقل من تحريف التوراة، فكله تغيير لكلام الله سبحانه وتعالى، وقد أكد الكاتب الفرنسي (موريس بوكاي) بأن الأناجيل الأربعة: مرقس، ومتى ولوقا، ويوحنا قد كتبت بعد سيدنا عيسى عليه السلام بما لا يقل عن نصف قرن، حيث إنها دونت في الفترة الزمنية ما بين عام 70م-110م، وعلى هذا فإنه مع ثبوت العنصر البشري في كتابة الإنجيل من صحابة سيدنا عيسى عليه السلام[34]. مما يعني طول فترة الكتابة ليس من ذهاب سيدنا عيسى فحسب بل من زمن فناء صحابته عليه السلام مهما عاشوا بعده.

أما المسيحيون فقد كانت دعوة سيدنا عيسى هي الرحمة والمحبة فحولوها إلى حب السيطرة وحب المال والجشع، واستغلوا مخالفة الإسلام للمسيحية السمحة، فلم يتسامحوا معه، فكانت الحروب الصليبية بتشجيع ومباركة بابوات روما، واستمرت سيطرة دول أوربا على الشرق مدة قرنين من الزمن بحجة كنسية مفادها: وجوب تحرير بيت المقدس من

أيادي المسلمين، فاستغلها ملوك أوروبا للتوسع وسط سيطرتهم على الشرق، إلى أن جاء صلاح الدين الأيوبي وأخرجهم من جميع بلاد الشرق.

وهم الآن يرسلون جمعياتهم التبشيرية للتبشير في بلاد الإسلام وتدعو الناس إلى التحرر من نير العبودية التي يفرضها الإسلام على المرأة، فدعوها إلى التحرر التزاما منهم لنشر الرحمة والمحبة بين الناس، وذلك من واقع تعاليم السيد المسيح، وهم في الحقيقة لا يهمهم المسيح ولا غيره، وإنما يهمهم أن تشب الفوضى بين طبقات المجتمع فيسهل عليهم التدخل والوصول إلى مآربهم الآنية والبعيدة، هذه هي مرجعية الفكر المسيحي انحيازا وجشعا يؤيدون فيه دائما أن يكون التهديد لرؤساء الدول الإسلامية والحصار المادي على شعوبهم، والعقوبات الجماعية، والتنديد دائما بالأصولية والإرهاب، هذه هي مرجعيتهم في الحرية وحق التعبير.

التقويم بين مرجعية الغرب ومرجعية الإسلام:

التقويم هنا يجب أن يكون محايدا وموضوعيا، وأين لنا ذلك؟، ولذا رأيت أن خير حياد يمكن أن يطمئن إليه المعنيون بالأمر، هو ما ينطق به لسان حال كتاب ومفكري الغرب أنفسهم، ورأيت أن أصوغ فكر هؤلاء ورأيهم حسب التدرج الوصفي لما هو عليه رأي هؤلاء المفكرين من تململ قد بدأ اتجاه هذه الحضارة بمرجعيتها الغربية.

لكن هذا التململ –إن صح التعبير– فهو يمر في خطوات ومراحل متدرجة من المهم إلى الأهم، ومن الخطوات الأصغر إلى الخطوات الأكبر، وقد أخذت هذه الخطوات أسلوب التدرج حسب الترتيب التالي:

1–الاعتراف باستبدادية التقدم العلمي:وهي المرجعية التي ساعدت على غطرسة الدول الاستعمارية، وقهرها للبلاد الضعيفة بآلة الحرب والدمار، وإدخال التقنيات التي

ساعدت الدول القوية على التغلب، وتصدير وتسويق بضاعتها على الدول التي تدور في فلكها، وقمع الحريات التي نشأت في هذه الدول حينما خالفت مصالحها الاقتصادية.

ولقد تطورت تقنية الغرب وفكره عن أسلوب للسيطرة الاقتصادية عن طريق ما يسمى بالعولمة وما يرتبط بها من تقنيات، وهي مرجعية لسيطرة الأقوى على الأضعف، ولذلك أنتقد كثير من المفكرين هذا الاستبداد التقني والعلمي، وحذروا من ذلك من خلال ما عبروا عنه في كتاباتهم، ولقد عبر عن ذلك الكاتب الإنجليزي (الدوس هكسلي) بقوله:"تبت أن التقدم العلمي أصبح الآن لمصلحة الاستبداد لا الحرية"[35].

2-الاعتراف بسوء مرجعية بروتوكولات حكماء صهيون: في إفساد مرجعية حضارة الغرب، وليست هذه البروتوكولات سوى صورة حديثة منقحة عن التلمود، وهي في مجملها توضح نظرة اليهود إلى العالم عن طريق إلقاء بذور الشغب في كل الدول، بواسطة الجمعيات السرية والسياسية والدينية والفنية والرياضية، والمحافل الماسونية، والأندية والجمعيات العلمية، مع السيطرة على وسائل الطبع والنشر، والصحافة، والمدارس، والجمعيات، والمسارح، ودور السينما وشركاتها، مع وضع أسس الاقتصاد العالمي، هذا مع إحداث الأزمات الاقتصادية العالمية كي يطلب أصحاب الشأن الاستعانة باليهود ثم ليتدخلوا هم بمطالبهم قبل المساعدة [36].

ويعبر الفيلسوف الأمريكي (ول ديورانت) عن تخوفه من طغيان هذا الطوفان الذي ورثته مرجعيات الغرب من مرجعيات حكماء صهيون بقوله:"عوامل شيطانية ثلاثة تحيط بنا اليوم:الأدب الفاحش الخليع الذي يزداد في وقاحته ورواجه منذ الحرب العالمية الأولى، والأفلام السينمائية التي لاتثير في الناس الشهوات البهيمية فحسب، بل تلقنهم دروسا عملية فيها، وانحطاط المستوى الخلقي في عامة النساء كما يبدوا في ملابسهن وعريهن

واختلاطهن بالرجال، وإكثارهن التدخين"[37]. هذه الحريات هي من مخلفات ما ورثته الحضارة الأوروبية من مرجعيات حكماء صهيون.

3-الاعتراف بأزمة الضمير عند مفكري الغرب: وذلك عندما وجدوا أنفسهم أسرى نحو الانحلال الذي كان يترتب على كثرة المتناقضات والانحرافات الهائلة نحو السقوط، حيث يسود منطق المغالاة في مطالب الحياة المادية، والتي قد نزعت منها كل قيود اللياقة، فلم يجد بعض المفكرين ماذا يكتب؟ ولأي صنف من البشر يكتب؟ وقد عبر عن مرجعيات التناقض المفكر (تولستوي) بقوله:"إنني لا أستطيع أن أحرر نفسي... فأكتب عن الحق كلمات رنانة لأخدع نفسي... إنني أدعو إلى الماء وأشرب الخمر... إن ضميري يهتف بي، فكيف أستطيع أن أفسر له مالا يمكنني تفسيره لنفسي"[38].

4-محاولات إنقاذ التردي: لقد اهتم مفكروا الغرب وسياسيهم في إيجاد آلية لانقاد هذا التردي في حضارة الغرب ومرجعياته، فنظروا يمنة ويسرة فوجدوا حضارة بديلة لحضارتهم، فخافوا على حضارتهم منها، واعتبروا أن أخلاقياتهم تعمل على الحد من سيطرة الغرب وشهواته الاستعمارية حينذاك، فقرروا محاربتها وطمس معالمها بدل أن يستفيدوا منها.

وما كان من قادة الفكر والزعماء الأوروبيين إلا أن اجتمعوا في عام **1907**م برئاسة وزير خارجية بريطانيا، "لبحث الوسائل التي تحول دون انهيار الحضارة الأوروبية، وبعد شهر من الدراسة والنقاش قرروا وضع خطة لبذل جهودهم كلها لمنع إيجاد أي اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط، لأن الشرق الأوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوروبا"[39]. وهذه الخطوة الكيدية من زعماء الغرب تدل على اعترافهم بحضارة

الشرق المنافسة لحضارتهم الآيلة إلى السقوط، ومازال الغرب من أجل ذلك يضغط على دول الشرق الأوسط حتى لا يتحدوا، ولو على كلمة في مؤتمر قمة.

5–طرح آخر محاولة لإنقاذ حضارة الغرب: بعدما تفشت الإباحية وهيمنت الأفكار الاستعمارية في أعقاب الثورة الصناعية،تطور الصراع بين الدول الاستعمارية للتنافس على السيطرة على الدول الضعيفة لامتلاك ثرواتها وتسويق بضاعتها عليها، فكثرت الحروب وأدى احتدام الصراع إلى قيام الحرب العالمية الأولى.

عندها احتار مفكرو الغرب في نتائج ومرجعيات حضارتهم المتردية عقلانيا وأخلاقيا، فحاولوا البحث عن مخرج، واهتدوا إلى فكرة أن تكون هناك هيئة دولية ذات مصداقية أخلاقية للفض في منازعات الدول، على أن تكون بمرجعية غربية ترضى عنها جميع دول أوروبا، فاقترح الساسة والمفكرون تطبيق ما نادى به قاضي ومفكر هولندي في مقولة له:"إنه لن يكون في هذه الأرض أمن وسلام مادامت هناك قوى متصارعة، لا تهتم إلا بكبريائها الوطني، وأن هناك قانونا طبيعيا ينبع من الضمير البشري...ولن يخضع لهذا القانون الطبيعي ما لم تشكل هيئة دولية تتكون من محكمين دوليين لا مصلحة لهم وتختص بالفضل في المنازعات الدولية"[(40)].

وقد تبلورت هذه الجهود فيما بعد في إيجاد عصبة الأمم ثم هيئة الأمم، ولكن المرجعية الأخلاقية بقيت منقوصة خاصة في اعتماد أمريكا للفيتو ضد الشعوب الضعيفة والكيل في ذلك بمكيالين، وهو ما يدل دلالة واضحة على أن لعنة حضارة الغرب في مرجعية مازالت جاثمة على صدر الواقع.

6–الاعتراف بضرورة هيمنة مبادئ الدين على الحضارة: إذ كل المحاولات السابقة لوقف الانهيار الحضاري، من قتل للحضارات المنافسة، والاحتكام إلى هيئة دولية قضائية

لسد النقص في أخلاقيات الحضارة الغربية، كل ذلك لم يفلح، الأمر الذي دفع بعض مفكري الغرب للبحث عن منقذ وقد وجد بعضهم هذه الضالة، وجدها في الرجوع إلى تعاليم الدين، ولأجل هذا اقترح (كولن ولسون) في كتابه (سقوط الحضارة) ضرورة الانقياد لتعليم الدين كمرجعية للأمن، ولضبط الحياة الفكرية والحضارية لبني البشر، فيقول: "وكل ما يحتاجه الإنسان أن يؤمن بشيء يمنحه هدفا دائما متجددا...ولكن الدين يمنح الإنسان هذا الهدف النهائي، الهدف الذي لا ينتهي حتى ولو عاش مليونا من السنين والإنسان ليس كاملا بدون دين"(41).

ولكن دعوة (كولن ولسون) للرجوع إلى الدين كانت غامضة، فإذا كان المقصود هو الرجوع إلى الدين المسيحي، فقد كان البابوات يسيطرون على القرارات السياسية في أوروبا، فماذا كانت النتائج، لقد كانت النتائج قيام الحروب الصليبية الفاشلة، أما إذا كان ما يقصده دين آخر فقد ثبت أيضا زيف ديانة التلمود اليهودي، فلم يبق إذا إلا الإسلام بمصداقيته التي لا يستطيع أحد منصف أن ينكرها.

7-الاعتراف صراحة بموقع الدين الإسلامي في الحضارة: وفي ذلك الصدد يقول المؤرخ البريطاني الشهير (أرنولد توينبي): "إن مستقبل الحضارة الإسلامية يتوقف على الأكثرية المؤمنة بتراثها، والتي زادها الصراع مع الغرب حيوية ونشاطا، والمؤمل أن هؤلاء الأكثرية سوف يوجهون الطاقة العربية الإسلامية إلى الخلق والإبداع والنمو، وبالتالي إلى تجديد شباب الحضارة العربية الإسلامية، والعمل على إحلالها المحل اللائق في الحضارة العالمية"(42).

8-الاعتراف بتفوق الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية: وذلك من خلال إجراء مقارنات ودراسات ميدانية اعتمدها أصحاب أقلام في الغرب ونادوا بإعلان النتيجة،

وهم في انتظار اعتمادها، وهذا الذي حصل (لباحثة أمريكية) مختصة في شؤون الأحداث دون العشرين، في مقال لها في جريدة (الجمهورية) القاهرية، في هندسة الحياة الاجتماعية والأسرية السوية، وعدم التفريط بهذه التعاليم، لأنه ثبت أنها هي التي يجب أن تحترم وتسو د في كل المجتمعات الأسرية في العالم.

فتقول:"امنعوا الاختلاط، فقد عانينا منه في أمريكا الكثير، فأصبح المجتمع الأمريكي مجتمعا معقدا، مليئا بصور الإباحية والخلاعة، وإن ضحايا الاختلاط (والحرية) يملئون السجون والأرصفة، والبارات والبيوت السرية، إن (الحرية) التي أعطيناها لأبنائنا وبناتنا قد جعلت منهم عصابات أحداث...فإن القيود التي يفرضها المجتمع الإسلامي على الفتاة صالحة ونافعة، فتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، وامنعوا الاختلاط، وقيدوا (حرية الفتاة)، وعودوا إلى الحجاب، فهذا خير لكم من إباحته وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا" (43). نعم، إن الحرية الحقيقية هي في ممارسة الحق الذي يرضاه الله، وليس ممارسة كل قول أو فعل.

وفي خلاصة هذا التقويم التدريجي، الذي تعرفنا فيه على كيفية تدهور الحضارة الغربية، وتدرجها في هذا التدهور إلى الحد الذي أعاد فيه المنصفون من مفكري الغرب حساباتهم، واقتربوا باقتراحاتهم الفكرية إلى التبشير بحضارة الإسلام ومرجعيته، ما يجعل مجال التفوق بين الحضارتين راجع للحضارة الإسلامية.

وفي ختام هذا البحث الذي استعرضت فيه مفهوم المرجعية لكل عمل يقوم به الإنسان، سواء ما كان في الإسلام أم ما كان في الحياة الغربية، فإنه بناء على تلك المرجعية تميزت الحريات العامة في كل منهما، وحتى نتعرف على المرجعية الأصلح فالأمر يحتاج إلى الاحتكام إلى جهة حيادية تعبر عن ذلك الأصلح بكل موضوعية، متحققا من ذلك

بالوصف المرتب حسب ما جاء وعبر عنه مفكرو الغرب تجاه هذا الموضوع، وكرست فيه الاعترافات لمختلف الانعكاسات الفكرية الجادة و المنصفة في هذا التقويم وبالله التوفيق، وهو نعم المولى ونعم النصير.

الهوامش والمصادر والمراجع

1- للفيروز آبادي -باب الراء- فصل الحاء.

2- أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة. بيروت. ص.79

3- سورة المجادلة، الآية .3

4- سورة آل عمران، الآية .104

5- سورة الحج، الآية.77

6- سورة الطلاق، الآية.6

7- سورة العصر، الآية.3

8- سورة المائدة، الآية.2

9- سورة الشورى، الآية.38

10- رواه الترمذي في البر رقم.63

11- رواه مسلم.

12- رواه أبو داود في سننه عن أبي بكر.

13- المقاصد الحسنة للسخاوي رقم500.

14- المصدر السابق 478.

15- شرح السنة للبغوي، المكتب الإسلامي، ط2. 1983م. 6 /.461

16- الخروج على الحاكم الجائر، د.محمد دراجي، محاضرة الملتقى الثاني، كلية أصول الدين بجامعة الجزائر بتاريخ 11 أفريل 2000م.

17- العقد الفريد، لأحمد بن عبد ربه(ت327هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت. 1982. 1/.55

18- تاريخ التشريع الإسلامي للشيخ محمد الخضري،دار القلم،بيروت.ط1983/1م.ص195-196 بالتصرف.

19- سراج الملوك للطرطوشي، ص39 بالتصرف.

20- عن كتاب (العبر) لابن خلدون. 502/13 وما بعدها.

21- نيل الإبتهاج للتنبكتي. ص.260

22- تاريخ التشريع الإسلامي، للخضري. ص.118

23- سورة النساء. الآية .59

24- تفسير الكشاف للزمخشري 1/.524

25- سورة الحجرات، الآية .6

26- نظام الأمن الجماعي في التنظيم الدولي، عبد الله محمد آعيون، دار اليشير، عمان. ط.1

27- الشباب المسلم والحضارة الغربية، حسن حسن سليمان، دار الشروق، جدة، ص25

28- المصدر السابق ص.30

29- سورة النساء، الآية.46

30- سفر التكوين.

31- العقائد الإسلامية، سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت. ص.167

32- سفر الملوك،الإصحاح الثامن.

33- مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الرابع للدكتور عبد الحليم عويس. ص.288

34- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم تعريب نخبة من الدعاة، دار الكندي، لبنان. ط2، عام 1978م.ص.60

35- أفكار معاصرة، أحمد يهاب الدين، منشورات جريدة المحرر والمكتبة العصرية، صيدا، لبنان. ص.315

36- بروتوكولات حكماء صهيون، محمد العيد آل خليفة التونسي، دار الكتاب العربي. 1980م. ص31-.32

37- الإسلام ومشكلات الحضارة، السيد قطب، بيروت، دار الشروق، 1981م. ط5. ص.135

38- أفكار معاصرة. ص.49

39- قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام، جلال العالم، عمان، دار الأرقم 1981م. ص .77

40- أفكار معاصرة. ص .183

41- الشباب المسلم. ص145-.146

42- المصدر السابق .150

43- المخططات العالمية لمكافحة الإسلام، محمد محمود الصواف، دار الإصلاح 1979م. ص228.